

وبالمقابل تجد من أبناء الأمة الإسلامية نفسها من كفر بنعمة الله وفضله عليه في اختياره من هذه الأمة لأسباب عاطفية أو نفسية أو مادية أو اجتماعية أو ظروف سياسية وأمنية وعلى هؤلاء جميعاً التفكير بنعم كثيرة من الله بها علينا وتذكر قدرة الله في كل وقت. قال تعالى: "قُلْ أَنتُمْ لَنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (فصلت، شملت آيات الكتاب العزيز إشارات إلى ثلاث حقائق كونية في: 1- خلق الأرض وتقدير الأقوات فيها في أربعة أيام قبل السماء. 2- أصل الكون المادي من الدخان. 3- الدورات التكوينية للأرض والسماء، إن العلوم الفضائية والعلوم الطبيعية لا زالت تحبو للتعرف على أصل الكون ونشأته والمادة الأولية التي تتكون منها الأجرام السماوية وطريقة تشكيلها، ولقد درسوا ملياً ما يقع على الكرة الأرضية من خارج مجالها من النيازك والأترية الكونية وما حصلوا عليه أخيراً من قطع من سطح القمر، ولكنهم لم يستطيعوا تحديد الحالة الأولية لهذه المواد التي كانت عليها قبل تجمعها في مجموعات من النجوم والكواكب والمجرات، قال تعالى: "مَا أَشْهَدُتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا" (الكهف ، على الرغم من محاولة العلم الحديث التعرف على اللبنيات الأولى التي يبني عليها الكون المادي ومحاولة التعرف على الذرة إلا أنه لم يخرج بباطل من دراسته هذه قال تعالى: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ" (الأنبياء، وهكذا لم يصل العلم الحديث إلى الآن إلى معرفة أصل الوجود المادي للكون على الرغم من توصل العلماء والمهندسون إلى نجاحات كبيرة في المسائل التطبيقية، فنحن نعرف طرقات شتى لاستخدام الكهرباء في التدفئة والعلاج والإضاءة وإدارة الآلات وتسيير القاطرات والسيارات وغير ذلك من الاستخدامات، ولكن لما عرفت وسائل تحطيم الذرة في هذا العصر أمكن الجزم بإمكان تقسيم الذرة وانطلاق طاقات عظيمة مما يدخر بين ثناياها أساسها الطاقة التي استخدمت في الأصل في ربط جسيماتها الأولية، وقد وجدوا أنها تحتوي على البروتون والنيوترون والاليكترون بواسطة التجزئة اخترعوا القنبلة الذرية والهيدروجينية، قال تعالى: "وَمَا يَعْزِبُ عَنِ رَبِّكَ مِّنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (يونس، وفي قوله: "وَلَا فِي السَّمَاءِ" بيان بأن خواص الذرات في الأرض هي نفس ذرات العناصر الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب الأخرى، كل ذلك قبل تشكيل السماء وجعلها سبع سماوات وهذه الحقيقة لا يستطيع العلم البشري أن يصل إليها إلا من طريق الوحي من خالق السماوات والأرض، لأن وسائل البشر محدودة فلا يستطيع أن يخترق بوسائله المادية حجب غيب الماضي ليعرف تكوين الأجرام الكونية السابق منها عن اللاحق. وهنا لابد من الإشارة إلى آيات سورة "النازعات" فقد يفهم بعضهم أنها تتعارض مع آيات سورة "فصلت" وقد ثار هذا الإشكال في عصر الصحابة رضوان الله عليهم. وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: "فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ" "وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ" "وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا" "وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ" فقد كتموا في هذه الآية. وقال تعالى: "أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا" إلى قوله "وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى: "قُلْ أَنتُمْ لَنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" إلى قوله "طَائِعِينَ" فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ" في النفخة الأولى "ثُمَّ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَمَصَّعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ" فلا أنساب بينهم عند ذلك، ولا يتساءلون بينهم وفي النفخة الأخرى: "وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ" وأما قوله "وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ" "وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا" فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتتطرق أيديهم فعند ذلك يعرف أن الله تعالى لا يكتتم حديثاً،